المناسبة في سورة البلد، دراسة تطبيقية

م.م أحمد اكرم عزيز مال الله*

الملخص:

فعنوان هذا البحث هو (علم المناسبة، سورة البلد دراسة تطبيقية)، اشتمل البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، جاء المبحث الأول بعنوان (مقدمة في علم المناسبة) ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحا، المطلب الثاني: آراء العلماء فيه، المطلب الثالث: أهمية علم المناسبة، وجاء المبحث الثاني: التعريف بسورة البلد، والمبحث الثالث: مناسبة سورة البلد لما قبلها (سورة الفجر)، والمبحث الرابع: تناسب آيات السورة بعضها مع بعض، المبحث الخامس: مناسبة سورة البلد لما بعدها (سورة الشمس)، ثم الخاتمة نجمل فيها ما توصل إليه إليه البحث من نتائج .

Summary:

The title of this research is (the science of occasion, Surat Al-Balad applied study), the research included an introduction, five investigations and a conclusion, the first section came entitled (Introduction to the science of the occasion) and includes three demands: The first requirement: the definition of the science of occasion language and idiomatically, the second requirement: the views of scientists in it, the third requirem;ent: the importance of the science of the occasion, and the second topic: the definition of Surat Al-

* معلم جامعي في مدرسة بادوش الثالثة بنين.

Balad, and the third topic: the occasion of Surat Al-Balad for the preceding (Surat Al-Fajr), and the fourth topic: Fit the verses of the sura with each other, the fifth topic: the occasion of Surat Al-Balad beyond (Surat Al-Shams), then the.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجاً، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله الذي شرّفه ربّه بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد، كتاباً يهدي إلى صراط مستقيم، أما بعد:

فإنّ علم المناسبة يثبت وحدة القرآن، ويرد على حملات الطعن التي وجهها إليه أعداء الإسلام من المستشرقين في زعمهم أن القرآن غير مرتب، بل قد نزل مفرقاً في أحكام متنوعة، يدعو بذلك إلى إثبات توقيفية الآيات والسور، وأنها بوحي من الله تعالى، كما في اللوح المحفوظ، من خلال إظهار تناسب آياته، وتناسق سوره، ثم بيان أوجه الارتباط بين ما تباعد نزوله ليغدو ترتيبه معجزة من المعجزات تدل على أنه نزل من لدن حكيم خبير، إذ يقول رب العزة : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٤] .

وقد أكد هذا الترتيب واعجازه، محمد أبو زهرة بقوله: " إذ إنّ الآيتين المتلاصقتين مع أنهما قد تكونان نزلتا في زمنين متباعدين، نجد أن كل واحدة سقف للأخرى، وهما صنوان متلازمان، متآخيان وذلك سر الإعجاز ودلائله، إذ إنّ التناسق البياني بينهما متصل، والمعاني متلاقية، وكل واحدة منهما تتمّ الأخرى في الموضوع في أحيان كثيرة، وفي التوجيه النفسي، والتوالد المعنوي بينهما، بحيث لا يتصور القارئ للقرآن الكريم، أو المستمع لترتيله والمدرك لنغمه لا يحسب أن بينهما فارقاً زمنياً في النزول "(١).

(١) المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة : ١٥٩-١٦٠

ولا يكاد أحد يحسُّ التفاوت أو التفكك والانقطاع، بل هو كمال اتصال، وجمال تناسق وانسجام([1])، وهذا الترتيب والاتساق قد أبهر العقول، وأعجز الجمهور كما يقول الجرجاني([2]).

وقد اشتمل البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، جاء المبحث الأول بعنوان (مقدمة في علم المناسبة) ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحا، والمطلب الثاني: آراء العلماء فيه، والمطلب الثالث: أهمية علم المناسبة، وجاء المبحث الثاني: التعريف بسورة البلد، والمبحث الثالث: مناسبة سورة البلد لما قبلها (سورة الفجر)، والمبحث الرابع: تناسب آيات السورة بعضها مع بعض، والمبحث الخامس: مناسبة سورة البلد لما بعدها (سورة الشمس)، ثم الخاتمة نجمل فيها ما توصل إليه البحث من نتائج .

وختاماً أسال الله العليّ القدير، أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، فإذا خطف بصري زلل فهو من ظلمة الشيطان، وإذا برق به حقّ فهو من تمام نور الله ، وكمال حمده .

المبحث الأول: مقدمة في علم المناسبة

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا

المناسبة لغة: قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: " النون ، والسين ، والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول : نسبت أنسب، وهو نسيب فلان، والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"([3]) وجاء في لسان العرب:" وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة "([4]) والمشاكلة بمعنى : المماثلة، تقول: هذا شكل هذا ، أي: مثله .

فالمناسبة لغة تعني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة .

([1]) ينظر: مناهل العرفان : ٢٠٩/١-٢١٠ .

([2]) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٧ .

([3]) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٢٣، ٤٢٤

([4]) لسان العرب ، ابن منظور : ١١٩/١٤ .

المناسبة في الاصطلاح: عرّفها البقاعي بقوله: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه، إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال "([1]).

وعرفت أيضاً بأنها:" وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة "([2]).

ويبدو توافق المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي للمناسبة ، فكلاهما يعني: أن الآية وجارتها شقيقتان، يربط بينهما رباط من نوع ما، كما يربط النسب بين المتناسبين، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كل التماثل، بل ربما يكون بينها تضاد، أو تباعد في المعنى، المهم أن هناك صلة، أو رابط ما يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما، سواء توصل إليها العلماء أم لا، فقد تظهر أحيانا، وتختفي أحيانا أخرى، وفي هذا مجال لتسابق الأفهام .

المطلب الثاني: آراء العلماء فيه

اختلف العلماء في هذا العلم ما بين القبول والمنع، فمنهم من قبل هذا العلم وانتصر له، ومنهم من منعه واعترض عليه.

أولاً: القابلون لهذا العلم المنتصرون له.

ذهب جمهور العلماء إلى قبول هذا اللون من علوم القرآن بل ألفوا فيه واستحسنوه منهم على سبيل المثال:

١- القاضي عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم، والتي هي بحسب تعبيره " تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"([3]).

وعنده أن المعاني تترتب في النفس أولاً وتتبعها الألفاظ مرتبة على حسب ترتيب المعاني فتراه يقول:" وأنك إذا فرغت من ترتيبِ المعاني في نفسِك لم تحتج إلى أن تستأنفَ فِكراً في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتَب لك بحُكم أنها خَدمٌ للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها وأن العلمَ بمواقع المعاني في النّفس علمٌ بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النُّطق"([4]).

٢- الإمام الزركشي والذي تحدث في كتابه البرهان في علوم القرآن عن هذا العلم باعتباره واحداً من علوم القرآن، بل إنه نقل عن بعض المشايخ المحققين في الرد على من رفض هذا

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ٦ .

([2]) مباحث في علوم القران، مناع القطان : ص ٩٧

([3]) دلائل الإعجاز: ١٣.

([4]) المصدر نفسه: ٥٩.

العلم قولهم:" قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف"([1]).

٣- الإمام البقاعي صاحب كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، والذي كان من أفضل الكتب المؤلفة في هذا العلم.

٤- وغير هؤلاء من العلماء كثيرون ممن انتصروا لهذا العلم.

ثانياً: الرافضون لهذا العلم

من أبرز العلماء الذين نقل عنهم أقوال اعتراض على هذا العلم، العز بن عبد السلام، والإمام الشوكاني.

حيث نقل الإمام الزركشي عن العز بن عبد السلام قوله:" المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض"([2]).

وقال الإمام الشوكاني معترضاً على هذا العلم وعلى من اشتغل فيه خاصة الإمام البقاعي " أعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم ارادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره"([3]).

وعلى ذلك فالمتمعن في كلام الشيخين يتبين أنهما لم يعارضا هذا العلم على إطلاقه، مادامت هناك ضوابط موجودة متمثلة في حسن الربط، والبعد عن التكلف والتعسف، وهذا بالطبع ما يتصف به القرآن الكريم في سوره وآياته، من حسن الربط ،والبعد عم التكلف .

([1]) البرهان في علوم القرآن: ٣٧/١.

([2]) البرهان في علوم القرآن:٣٧/١.

([3]) فتح القدير: ٨٦/١.

المطلب الثالث: أهمية علم المناسبة

أكد العلماء على أهمية هذا العلم ومكانته وفضله لما فيه من إبراز إعجاز القرآن ليس فقط لفصاحة ألفاظه وشرف معانيه بل بحسب ترتيبه ونظم آياته.

وهذا ما أفاده الإمام الرازي حيث يقول: "إن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"([١]).

وقال الزركشي :"واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول"([٢]).

كما جعل الإمام ابن العربي "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علماً عظيماً"([٣]).

فالمناسبة تعد من أدق العلوم، وأعظم الوسائل التي تعين على فهم القرآن الكريم، واكتشاف دقائق ترابطه.

المبحث الثاني: التعريف بسورة البلد

سورة "البلد مكية باتفاق، وي عشرون آية"([٤]).

وقال الآلوسي–رحمه الله تعالى– " مكية في قول الجمهور بتمامها، وقيل: مدنية بتمامها، وقيل: مدنية إلا أربع آيات من أولها، واعترض كلا القولين بأنه يأباهما قوله تعالى﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ ، قيل: ولقوة الإعتراض ادعى الزمخشري الإجماع على مكيتها"([٥]).

والذي تطمئن إليه النفس، أن هذه السورة من السور المكية الخالصة، ولا يوجد دليل يعتمد عليه يخالف ذلك، قال الشوكاني–رحمه الله تعالى– "سورة البلد، ويقال سورة لا أقسم، هي عشرون آية، وهي مكية بلا خلاف" ([٦]).

([١]) مفاتيح الغيب: ١٠٦/٧.

([٢]) البرهان في علوم القرآن:٣٥/١.

([٣]) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي:٣٦٩/٣.

([٤]) الجامع لأحكام القرآن: ٥٩/٢٠.

([٥]) روح المعاني: ٣٤٩/١٥.

([٦]) فتح القدير: ٥٣٨/٥.

أما تسمية هذه السورة، فقد "سميت هذه السورة في ترجمتها عند (صحيح البخاري): سورة (لا أقسم)، وسميت في المصاحف وكتب التفسير (سورة البلد)، وهو إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة"([1]).

المبحث الثالث: مناسبة سورة البلد لما قبلها (سورة الفجر)

لما ختمت كلمات سورة الفجر بالجنة التي هي من أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق، لا سيما المضافة إلى اسمه الأخص﴿جَنَّتِي﴾المؤذن بأنها أفضل الجنان، وبعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمارة التي وقعت في كبد الندم الذي يتمنى لأجله العدم، وبعد ما تقدم من أنها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح هذه بالأمارة مقسماً في أمرها بأعظم البلاد، وأشرف أولي الأنفس المطمئنة، فقال مؤكداً بالنافي من حيث إنه ينفي ضد ما ثبت من مضمون الكلام مع القطع بأنه لم يقصد به غير ذلك: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: أقسم قسماً أثبت مضمونه، وأنفي ضده،([2])،

وذكر السيوطي(ت٩١١هـ) – رحمه الله تعالى– أن "وجه اتصالها بما قبلها – أي سورة الفجر–أنه لما ذم فيها من أحب المال، وأكثر التراث، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال، من فك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة"([3]).

وذهب الدكتور فاضل السامرائي: إلى أن علاقة السورة بما قبلها أي (سورة الفجر)، أنه تعالى لما قال:﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ ذكر الإنسان الغني والفقير، الذي قدر عليه رزقه والذي أغناه، وفي سورة البلد ذكر الذي أهلك المال، والفقير﴿ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾، ثم إن ربنا تعالى وصف الإنسان في سورة الفجر بقوله:﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ وفي سورة البلد وصّانا الله تعالى بالرحمة بهذين الضعيفين بقوله: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ

([1]) التحرير والتنوير:٣٠/٣٤٥.

([2]) ينظر : نظم الدرر، البقاعي : ٩/٤٢٥ .

([3]) أسرار ترتيب القران : ٢٢ .

مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٍ﴾، والأمر الآخر، أن هناك ترابط بين السورتين بدليل: قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ ، وقال في سورة البلد: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾فكما تأكل يجب أن تطعم([1]).

المبحث الرابع: تناسب آيات السورة مع بعضها البعض

ابتدأ النظم القرآني بالقسم الذي يتجلى بقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ تشويقا لما يرد بعد، وأطيلت جملة القسم زيادة في التشويق، ولما عظم البلد بالقسم به زاده عظماً بالحال به إشعاراً بأن شرف المكان بشرف السكان، بجملة حالية المتمثلة بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: وأنت حلال منك ما حُرِّم من حقِّ ساكن هذا البلد من الحُرمة والأمن، والمعنى: التعريض بالمشركين في عدوانهم وظلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم في بلد لا يظلمون فيه أحداً، والمناسبة ابتداء القسم بمكة الذي هو إشعار بحرمتها المقتضية حرمة من يحل بها، أي: فهم يحرِّمون أن يتعرضوا بأذى للدواب، ويعتدون على رسول الله ﷺ جاءهم برسالة من الله تعالى([2]).

وجاء تكرار كلمة (البلد) للتعظيم، فضلا عن أن البلد المقصود به مكّة، وهو بلد حرام لا يسفك فيه دمٌ ولا يروّع فيه آمن، ولكن الله تعالى أحلّ لرسوله ﷺ في يوم الفتح أن يفعل ما يشاء من قتل، أو أسر، فكأنما البلد صار غير البلد في يوم الفتح فأصبح له صفتان: حالة الحلّ، وحالة الحرب، وكأنه أصبح بلدين فكرّر سبحانه كلمة (البلد) لتكرار الوصف([3]).

وقوله:﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾لهذا التعبير دلالات عدة: والمقصود منها العموم، أي: كلّ والد وما ولد من الأناسيّ والبهائم([4])، ولذا لم يقل (ومن ولد)، وإنما قال:﴿وَمَا وَلَدَ﴾، والمقصود به العموم، وليس الخصوص، ومن جملته آدم وذريته، ويأتي جواب القسم في قوله:﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا

([1]) ينظر: لمسات بيانية: ٢٢٢-٢٢٣ .

([2]) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣٠/ ٣٤٦ .

([3]) ينظر : لمسات بيانية : ٢٢٩ .

([4]) ينظر ، البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي : ٤٧٠/٨ .

﴿ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ والكبد: هو المشقة والشدّة (١)، و﴿فِي كَبَدٍ﴾ أنه " يكابد مشاق الدنيا والآخرة، ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته إلى أن يستقر قراره، إما في جنة فتزول عنه المشقات؛ وإما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده" (٢).

ومن أسرار النظم أنه قال: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ لم يقل (يكابد أو مكابد)؛ وذلك أن (في) تفيد الظرفية والوعاء، أي: أن الإنسان خلق مغمورا في المشاق والشدائد منغمسا فيها، وكما يكون الشيء في الوعاء، فكأن الشدائد تحيط بالإنسان لا تنفك عنه إلى أن يموت، والمناسبة بين القسم والجواب هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يلاقي من قومه من مشقة وشدة، وهو يبلغ دعوة ربه، وفيه إشارة إلى أن الدعاة لا بد أن يوطنوا أنفسهم على المكابدة والصبر (٣) .

ولأجل ما علم من كون الإنسان لا يزال في نكد وشدة ونصب من حيث احتياجه أولاً إلى مطلق الحركة والسكون، وثانياً إلى المأكل والمشرب، وثالثاً إلى ما يترتب عليها إلى غير ذلك مما يعيي عده ويجهل حده، توجه الإنكار في قوله تعالى بياناً للأسباب الموقعة له في النكد، وهي شهوتان: نفسية وحسية، والنفسية منحصرة في أربع: الأولى أنه يشتهي أن يكون كل من في الوجود في قبضته فأشار إليها ﴿أَيَحۡسَبُ﴾ أي: يحسب الإنسان مع ما فيه من أنواع الشدائد، أكده بالجملة الفعلية فقال:﴿أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ ، وقدم الجار ﴿عَلَيۡهِ﴾تأكيداً بما يفيد من الاهتمام بالإنسان، ولما كان الإنسان لا يفتخر بالإنفاق إلا إذا أفضى إلى الإملاق، فعلم أن مراد الإشارة إلى أن معه أضعاف ما أنفق من حيث إنه حقره بلفظ الإهلاك، إشارة إلى الثانية والثالثة من شهواته النفسية وهما إرادته أن يكون له الفخار والامتنان على جميع الموجودات، وإرادته أن يكون عنده من الأموال ما لا تحيط به الأفكار، ولا تحويه الأقطار، علل سبحانه وتعالى جهله في حسابه ذلك وما تبعه بالجملة الفعلية فـ ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾(٤) .

ومن روائع النظم التعبير عن الإنفاق بالإهلاك" إظهاراً لعدم الاكتراث، وأنه لم يفعل ذلك رجاء نفع فكأنه جعل المال الكثيرة ضائعاً" (٥)، وهذا المعنى مناسب لجو السورة لجو

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القران ، الأصفهاني : ٢/ ٢٧٥ .

(٢) البحر المحيط : ٨/ ٤٧٠ .

(٣) ينظر: لمسات بيانية : ٢٣٤ .

(٤) ينظر: نظم الدرر : ٨ /

(٥) روح المعاني: ٣٠/ ١٣٦ .

المشاق والشدائد التي تؤدي إلى الهلاك، وكذلك مناسب مع ما يعانيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في البلد الحرام من الشدائد، والمحن، التي قد أدت إلى بعضهم إلى الهلاك كياسر وسمية، وهو مناسب أيضا مع حسبان الإنسان أن لن يقدر عليه احد فيهلكه (١).

ولما كان الشيء لا يعني إلا إذا كان مجهولاً ولو من بعض الجهات، أنكر عليه هذا الظن تقدير وقوعه بطريق الاستفهام، فإنه لا يوصل إلى ما ظنه إلا به، بقوله مشيراً إلى النفسية الرابعة، وهي أن تكون أموره مستورة، فلا يظهر على غيه أحد أصلاً ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾، والمعنى: " أيحسب أن أعماله تخفى، وأنه لا يراه أحد، ولا يطلع عليه في إنفاقه ومقصد ما يبتغيه مما ليس لوجه الله منه شيء ؟"(٢).

ولما أنكر عليه سبحانه وتعالى هذه النقائص ، ساق سبحانه وتعالى بعد ذلك جانبا من مظاهر نعمه على هذا الإنسان عن الطريق الاستفهام التقريري فقال:﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾أي: جعل لهذا الإنسان عينين، يبصر بهما، وجعلنا له لسانا ينطق به، وشفتين تساعدانه على النطق الواضح السليم، واقتصر سبحانه وتعالى على العينين؛ لأنهما أنفع المشاعر، ولأن المقصود إنكار ظنه أنه لم يره أحد، ولأن الإبصار حاصل بذاتهما ،وذكر سبحانه وتعالى اللسان وذكر معه الشفتين، للدلالة على أن النطق السليم، لا يتأتى إلا بوجودهما معا، فاللسان لا ينطق نطقا صحيحا بدون الشفتين، وهما لا ينطقان بدونه(٣).

ولما كان لله تعالى على كل أحد في كل لمحة جديدة في إبقاء هذه الآلات الثلاث، عبر فيها بالمضارع، ولما كانت النعمة في العقل إنما هي بهبته أولاً ثم بحمله به على الخير ثانياً، وكان أمره خفياً، وكان من المعلوم أن كل أحد غير مهدي في كل حركاته وسكناته إلى ما يسعده، بل كان هذا المنكر عليه لم يؤهل لطريق الخير، عبر له بلفظ الماضي تحقيقاً لكونه وجعله غريزة لا تتحول وطبيعة لا تتبدل، بل هي غالبة على صاحبها، قائدة إلى مضارة أو محابة ومسارة وإن كره، وهذا هو السبب الذي يكون به

(١) ينظر: لمسات بيانية : ٢٣٨ .

(٢) البحر المحيط :٨/ ٤٧٠ .

(٣) ينظر : لمسات بيانية : ٢٣٤ .

الخلاص من شر تلك الأنكاد في دار الإسعاد فقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقي الخير والشر([1]).

والنجد: هو التعبير الوحيد المستعمل في القرآن ويعني به "المرتفع من الأَرض"([2])، واختيار كلمة النجد يتناسب تماماً مع جو السورة، إذ لم يقل وهديناه السبيل؛ لأن السبيل هو الطريق السهل الميسّر الواضح التي يكثر السير فيها، أما سلوك النجد، ففيه مشقة وصعوبة ومناسب لجو السورة وما فيها من مشقة ومناسب للمكابدة في جو السورة، وسلوك النجد يحتاج إلى قوة وفيه شدّة وصعوبة ومناسب للكبد في السورة، إذن فالنجدين تتوائم مع السورة من حيث القوة، والمشقة، والمكابدة([3]).

وبعد بيان هذه النعم الجليلة التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان، أتبع سبحانه وتعالى ذلك بحضه على المداومة على فعل الخير، وعلى إصلاح نفسه، فقال تعالى:﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ ، "والعَقَبَة الجبَل الطويلُ يَعْرِضُ للطريق فيأْخُذُ فيه وهو طَويلٌ صَعْبٌ شديدٌ"([4])، والاقتحام: الرمي بالنفس في شيء من غير روية، سميت بذلك؛ لصعوبة سلوكها، وهو مثل ضربه سبحانه لمجاهدة النفس، والهوى، والشيطان، في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة ([5]).

ومن جمالية النظم القرآني، اختيار لفظة ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ بعد ﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾وهو ما جعل الاستعارة في الذروة العليا من البلاغة، وذلك أن النجد: وهو الطريق العالي المرتفع يؤدي إلى العقبة، وهي الطريق الوعر في الجبل، والعقبة تقع في النجاد غالبا.

ومن روائع النظم أيضا، اختيار لفظة ﴿ٱقْتَحَمَ﴾ وما فيها من شدة ومخاطرة، وهو المناسب لبيان وعورة وصعوبة هذه العقبة، كأنه لم يعبر عن ذلك بالاجتياز ونحوه مما يدل على شدة هذه العقبة، فانظر كيف أن كل لفظة وقعت في مكانها المناسب، وأن اختيار كل لفظة اختيار مناسب لجو السورة، فكل من الإفتتاح والعقبة مناسب لقوله تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ ذلك أن من معاني (الكبد) المشقة والقوة، وان اقتحام العقبة فيه مشقة وتعب كما أنه يحتاج الى قوة وشدة، فانظر حسن المناسبة، كما أن هذه

([1]) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ٤٣٠ .

([2]) لسان العرب : ٣/ ٤١٣ .

([3]) ينظر : لمسات بيانية : ٢٤٣ .

([4]) لسان العرب : ١/ ٦١٩ .

([5]) ينظر : فتح القدير:٥/ ٦٣٠ .

الآية تناسب ما بعدها من المشقات، والشدائد، التي يعانيها المسكين، واليتيم في اليوم ذي المسغبة، والمناسبة بين هذه الآية وبين أول السورة هو كيف أن الرسول ﷺ كان في حال اقتحام العقبة، والمناسبة بين هذه الآية وبين أول السورة هو كيف أن الرسول ﷺ كان في حال اقتحام للعقبة وهو حال ببلد الله الحرام ليلقى ما يلقى من العنت، والمشقة في تبليغ الدعوة ([1]).

وفي اختيار لفظة (لا) في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ اختيار بديع، إذ إن (لا) إذا دخلت على الفعل الماضي وجب تكرارها، وهنا لم تتكرر؛ وذلك لأن ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ مفسرة بشيئين: فك رقبة، وإطعام المسكين، فكأنه قال: فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً([2]).

ولما بين أنه لا خلاص من النكد إلا بهذا الاقتحام، شرع في تفسير العقبة بادئاً بتهويل أمرها لعظيم قدرها، فقال معبراً بالماضي الذي جرت عادة القرآن بأنه إذا عبر به شرح المستفهم عنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أي: أيها السامع لكلامنا، الراغب فيما عندنا ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ أي: إنك لم تعرف كنه صعوبتها وعظمة ثوابها، فلما تفرغ القلب بالاستفهام عما لا يعرفه، وكان الإنسان أشهى ما إليه تعرف ما أشكل عليه فتشوفت النفوس إلى علمها([3]).

ثم فسر المراد بهذه العقبة ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: هي إعتاق رقبة وتخليصها من أسار الرق وكل شيء أطلقته فقد فككته ومنه: فك الرهن وفك الكتاب، والفك: "الفصل بين الشيئين وتخليص بعضها من بعض"([4]) وسمي العتق فكاً؛ لأن الرق كالقيد، وسمي المرقوق رقبة؛ لأنه بالرق كالأسير المربوط في رقبته([5]) والمناسبة بينه وبين قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ واضحة، وهي أن الاسترقاق من أكثر احوال المكابدة والمعاناة، و(المسغبة) المجاعة ([6])، والفرق بين المسغبة والسغب، أن السغب معناه:

([1]) ينظر : لمسات بيانية : ٢٤٤-٢٤٥ .

([2]) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي : ١٦٧/٣١ .

([3]) ينظر : نظم الدرر : ٤٣٢/٨ .

([4]) لسان العرب: ٥/ ٣٤٥١

([5]) ينظر : فتح القدير : ٦٣٠/٥ .

([6]) ينظر : لسان العرب : ٤٦٨/١ .

الجوع مع التعب([1]) والجوع قد يكون عاما، وقد يكون خاصا، وأما المسغبة: فهي عامة، ومعناه في يوم فيه الطعام عزيز([2]).

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ واليتيم: الشخص الذي ليس له أب، وهو دون البلوغ، ووجه تخصيصه بالإطعام، أنه مظنة قلة الشبع؛ لصغر سنه، وضعف عمله، وفقد من يعوله، ولحيائه من التعرض لطلب ما يحتاجه، فلذلك رغب في إطعامه وإن لم يصل حد المسكنة، ووصف الفقر بكونه ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: مقربة من المطعِم؛ لأن هذا الوصف يؤكد إطعامه لأن في كونه يتيماً إغاثة له بالإطعام، وفي كونه ذَا مقربة صلة للرحم([3]).

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، والمتربة: الفقر، ويقال (تَرِبَ) للرجل إذا افتقر كأنه لصق بالتراب" ([4]).

ومن روائع النظم مجيء التعبير بـ (أو) دون الواو؛ لأن الواو تفيد معنى الجمع، ومعناه: لو أتى بالواو لا يقتحم العقبة الا إذا فك الرقبة، وأطعم هذين الصنفين جميعا، فإن أطعم صنفا واحدا لم يقتحم العقبة، وهو غير مراد، بل المراد التنويع، والمقصود أن يطعم هذه الأصناف من الناس، اليتيم أو المسكين على سبيل الاجتماع أو الانفراد، وقدم فك الرقاب على إطعام اليتامى والمساكين إشارة إلى عظم الحرية في الإسلام، وأن المطلوب أولا تحرير الناس من العبودية والاسترقاق، وقد ارتبطت هذه الآية بما بعدها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ فإن فك الرقاب، وإطعام الطعام من المرحمة، وهؤلاء الأصناف من الناس من المسترقين والمساكين من أحوج الخلق الى الصبر([5]).

جاء بـ (ثم) لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت؛ لأن الإيمان هو السابق المقدّم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلاّ به، والمرحمة: الرحمة، أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه، أو بالصبر عن المعاصي، وعلى الطاعات، والمحن التي يبتلى بها المؤمن، وبأن يكونوا متراحمين

([1]) مفردات ألفاظ القران: ٤٧٩ .

([2]) ينظر : روح المعاني : ١٣٨/٣٠ .

([3]) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٥٨/٣٠-٣٥٩ .

([4]) معجم مقاييس اللغة: ٣١٨/١.

([5]) ينظر : لمسات بيانية : ٢٥٠ .

متعاطفين، أو بما يؤدي إلى رحمة الله تعالى، فالسورة مبنية على أمرين أساسيين هما: الصبر، والمرحمة([1]).

فالصبر مرتبط بقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ لما يلاقيه الرسول ﷺ من عنت واذى وهو حال بهذا البلد، وبقوله تعالى ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ فإن تربية الولد وحفظه بحاجة إلى الصبر، وسلوك النجدين يحتاج إلى صبر؛ لما في صعودهما وسلوكهما من تعب ونصب، واقتحام العقبة يحتاج إلى صبر، والرقبة المسترقة تحتاج إلى صبر على القيام بشأن العبودية وقضاء اليوم في المسغبة يحتاج إلى صبر كثير وشديد، واليتيم يحتاج إلى صبر، وكذلك المسكين ذو المتربة، فإن هذه الاصناف تحتاج إلى صبر طويل، والذين امنوا يحتاجون إلى الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، فارتبط الصبر بالسورة، فبنيت السورة عليه، وكذلك الرحمة، فإن ذكرها مع الصبر أحسن الذكر واجمله، فهي مرتبطة بقوله تعالى:﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ فإذا كان حالا بهذا البلد يبلغ دعوة ربه فإنه لابد أن يعامل بالرحمة لا بالأذى، وكذلك مرتبطة بقوله تعالى:﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴾فإن العلاقة بين الوالد وولده علاقة رحمة وبر، وهذا الذي أهلك مالا لبدا، يحتاج إلى الرحمة لينفق المال على ذوي الحاجة، ولئلا يهلكه فيما لا ينفع، وذو الرقبة المسترقة محتاج إلى الرحمة والإشفاق، وذو السغبة ينبغي أن تشيع في الرحمة وهو من أحوج الأوقات إلى إشاعة الرحمة، واليتيم والمسكين من أحوج الخلق إلى الرحمة، والذين امنوا ينبغي أن يتواصوا بينهم بالرحمة([2]).

ولمَّا نوه بالذين آمنوا أعقب التنويه بالثناء عليهم وبشارتهم مفتَحاً باسم الإشارة (أولئك أَصْحَابُ الميمنة)؛ لتمييزهم أكمل تمييز لإحضارهم بصفاتهم في ذهن السامع، مع ما في اسم الإشارة من إرادة التنويه والتعظيم ([3]).

ثم بين سبحانه وتعالى بعد ذلك سوء عاقبة الكافرين فقال:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ "ولم يحتج هنا إلى ذكر أوصاف أخرى لفريق المشأمة غير أن يقول:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ؛ لأن صفة الكفر تنهي الموقف، فلا حسنة مع الكفر، ولا سيئة إلا والكفر يتضمنها أو يغطي عليها، فلا ضرورة للقول بأنهم الذين لا يفكون الرقاب ولا يطعمون الطعام، ثم هم الذين كفروا بآياتنا فإذا كفروا فما هو بنافعهم شيء من ذلك حتى لو فعلوه ! وهم ﴿أَصۡحَٰبُ

([1]) ينظر : الكشاف : ٢٩٤/٧ .

([2]) ينظر : لمسات بيانية : ٢٥١-١٥٢ .

([3]) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٠/ ٣٦٢ .

﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾أي: أصحاب الشمال أو هم أصحاب الشؤم والنحس . . وكلاهما كذلك قريب في المفهوم الإيماني، وهؤلاء هم الذين بقوا وراء العقبة لم يقتحموها !" (١).

ومن روائع التناسب في النظم أنه لم يقل: (أصحاب اليمين وأصحاب الشمال) كما قال في مواطن أخرى من القران الكريم، وذلك لأن اختيار هذين اللفظين له عدة فوائد منها :

أن الميمنة والمشأمة جمعت عدة معان، وهي كلها مرادة ومطلوبة، في أن أصحاب اليمين وأصحاب الشمال لا تعط إلا معنى واحدا, فأصحاب الميمنة هم أصحاب جهة اليمين التي فيها السعداء، وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم، فيذهبون إلى الجنة، وهم أصحاب اليمين والخير والبركة على أنفسهم وعلى غيرهم، فإنهم أفاضوا خيرهم ومالهم على الفقراء والمحتاجين، وتواصوا بالرحمة على الخلق، وهم ميامين على أنفسهم بأن رضي الله عنهم وأدخلهم الجنة، وكذلك أصحاب المشأمة فهم أصحاب جهة الشمال التي فيها الأشقياء، وهم الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم، ويساقون الى النار، وهم أصحاب الشؤم على أنفسهم وعلى غيرهم في الدنيا والاخرة(٢) .

هذا بالإضافة الى التناسب اللفظي، فالعمل والوصف والجزاء كله (مفعلة) فالذين يطعمون في يوم ذي ﴿مَسۡغَبَةٍ﴾يتيما ذا ﴿مَقۡرَبَةٍ﴾ أو مسكينا ذا ﴿مَتۡرَبَةٍ﴾ويتواصون بـ ﴿بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ وهم أصحاب﴿ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ ، وفي مقابلهم من الكفار هم أصحاب ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ ومن جمالية النظم ايضا: أنه جيء بضمير الفصل ﴿هُمۡ﴾ في آية الكفار، ولم يجئ به مع آية المؤمنين؛ وذلك لأن المذكورين من المؤمنين هم من أصحاب الميمنة، وليسوا أصحاب جهة الميمنة على جهة القصر، فهناك أصحاب الميمنة غيرهم، فإنه لم يذكر مثلا: الذين امنوا وعملوا الصالحات، أو الذين امنوا وتواصوا بالحق، أو الذين امنوا وتواصوا بالجهاد، أو الذين امنوا وتواصوا بالدعوة الى الله تعالى، فكل هؤلاء من أصحاب الميمنة، بل ربما كان من أصحاب الميمنة من لم يتواص بصبر ولا مرحمة أصلا من عامة المسلمين، في

(١) في ظلال القران ، سيد قطب : ٨/ ٤٥ .

(٢) ينظر: لمسات بيانية: ٢٧٧.

أن الذين كفروا هم أصحاب المشأمة حصرا، ولا يخرجهم منهم وصف آخر أو عمل آخر إذا بقوا على كفرهم([1]) .

ولما كان معنى هذا أنهم في الجانب الذي فيه الشؤم والهلكة، والبعد من كل بركة، أنتج قوله: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: خاصة دون غيرهم ﴿نَارٞ مُّؤۡصَدَةٌ﴾أي: مطبقة الباب مع إحاطتها بهم من جميع الجوانب بما أفهمته أداة الاستعلاء ومع الضيق والوعورة، وهذا من أشد الضيق والكبد، والنصب([2]) .

وقدم الجار والمجرور للقصر، بمعنى: أنها مؤصدة عليهم حصراً، أما إذا أخّر الجار والمجرور فقد يُفهم المعنى على أن النار المؤصدة ليست محصورة بالكفار ولكنها قد تكون مؤصدة على غيرهم أيضاً، إذن الآيات متفقة مع بعضها النار على هؤلاء الذين كفروا وأصحاب المشأمة النار مؤصدة عليهم حصراً، فالقصر هو الذي يؤدي المعنى المطلوب، فضلا عن ذلك أن التقديم هي المناسبة لخواتم الآي (المسغبة ، المتربة ، المقربة ، المرحمة ، المشأمة)، ومن بديع النظم لم يُذكر جزاء المؤمنين في السورة كما ذكر جزاء الكفار؛ وذلك لمناسبة ما ذكر في أول السورة في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ والكبد كما قلنا سابقاً: هو المشقة والمعاناة، ولا يناسب جو السورة ذكر الجزاء وإنما ذكر الإشارة إلى المؤمنين أنهم أصحاب الميمنة، والسورة كلها في المشاقّ والمتاعب فلم يناسب ذكر الجزاء للمؤمنين مع كل ما في السورة من مشقة وتعب وسلوك النجدين واقتحام العقبة واليوم ذي مسغبة والكبد هذا([3]) والله أعلم.

والغرض من هذه السورة لما فيه من " تحقيق مضمونه بذكر بعض المكابدة على نهج براعة الاستهلال، وإدماج لسوء صنيع المشركين، ليصرح بذمهم على أن الحل بمعنى المستحل بزنة المفعول الذي لا يحترم، فكأنه قيل: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمته يستحل بهذا البلد ولا يحترم كما يستحل الصيد في غير الحرم... وفي تأكيد كون الإنسان في كبد، بالقسم تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على أن يطمأن نفسه الكريمة على احتماله، فإن ذلك قدر محتوم"([4]) ، والمناسبة بين القسم بمكة وبين

([1]) ينظر : لمسات بيانية : ٢٥٥-٢٥٦ .

([2]) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ٤٣٥-٤٣٦ .

([3]) ينظر : لمسات بيانية : ٢٦٠ .

([4]) روح المعاني : الالوسي : ١٣٣/٣٠ .

خلق الإنسان في كبد أنّ "السورة كلها مبنية على هذا الأمر أي الكبد وكل تعبير مبني على ذلك"([1]).

المبحث الخامس: مناسبة سورة البلد لما بعدها (سورة الشمس)

لما ذكر في سورة البلد أن الإنسان في كبد، وختمها بأن من حاد عن سبيله كان في انكد النكد، وهو النار المؤصدة، أقسم أول سورة الشمس على أن الفاعل لذلك أولاً وآخراً هو الله سبحانه لأنه يحول بين المرء وقلبه وبين القلب ولبه، فقال مقسماً بما يدل على تمام علمه وشمول قدرته في الآفاق علويها وسفليها، والأنفس سعيدها وشقيها وبدأ العالم العلوي، فقال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ ﴾ ([2])، فأفاد ذلك قطعاً العلم بأنه الفاعل المختار([3]).

ومن المناسبة أيضاً انه لما تقدم تعريفه تعالى بما خلق فيه الإنسان من الكبد مع ما حصل سبحانه من الات النظر، وبسط له من الدلائل والعبر، وأظهره في صورة من ملك قياده، وميز رشده وعناده ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ أقسم سبحانه في سورة الشمس على فلاح من اختار رشده، واستعمل جهده، وانفق وجده ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ وخيبة من عادى هداه واتبع هواه ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ فبين حال الطريقين وسلوك الفريقين ([4]).

([1]) لمسات بيانية : ٢٣٤ .

([2]) سورة الشمس، ١-٨ .

([3]) ينظر: نظم الدرر: ٤٣٧/٨.

([4]) البرهان في تناسب سور القرآن: ٢٢٨ .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وله الحمد أن هدانا بالآيات البينات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد

فقد تبين مما تقدم أن القران الكريم واضح البيان، ساطع البرهان، متناسب السور والمقاطع والآيات، ومن خلال سورة البلد يمكن أن نجمل بعض نتائج هذا البحث:

١- بمعرفة التناسب نتمكن من معرفة كيف اتسق للقرآن الكريم هذا التآلف، وكيف استقام له هذا التناسق الذي يشهد بحق وصدق على إعجاز القرآن، ويدل أبلغ دلالة على مصدر القرآن، وأنه كلام الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢.

٢- كل من تحدث عن مصطلح التناسب لم يخرج عن معنى التلاؤم والتشابه في وصفه للكلام المتشابه.

٣- إن الذي تطمئن إليه النفس، أن سورة البلد من السور المكية الخالصة، ولا يوجد دليل يعتمد عليه يخالف ذلك.

٤- وجوه التناسب بين سورة البلد والتي قبلها (سورة الفجر) كثيرة منها: أن الله تعالى ختم سورة الفجر ببيان حال النفس المطمئنة في الآخرة، وذكر هنا طريق الاطمئنان، وحذر من ضده وهو الكفر بآيات الله.

٥- وجوه التناسب بين سورة البلد والتي بعدها (سورة الشمس) كثيرة منها: أنه لما كان آخر سورة البلد مختتما بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، اختتم سورة الشمس بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك إشارة بمآلهم إلى النار في الآخرة.

٦- إن المتأمل لتركيب آيات سورة البلد، ونظم كلماتها، في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها، وأسلوبها في التوفيق بين القضايا، والأغراض المتنوعة، مع حسن ربط ، وبراعة مسلك، كأنها سبيكة واحدة، أو عقد نظيم، يترجح لديه الرأي القائل بأن ترتيبه توقيفي.

٧- إن موضوع التناسب بين آيات القرآن وسوره، والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، هو من الموضوعات التي ينبغي أن تتفرغ لها جهود العلماء، والمهتمين بالدراسات القرآنية، فهو يعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، وعلى تحقيق مقاصد هذا الكتاب العظيم في نفوس المؤمنين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين

المصادر والمراجع

- أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار الفكر ، بيروت
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان , ٢٠٠١م.
- البرهان في تناسب سور القران، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي(ت٧٠٨هـ) تحقيق: د٠سعيد الفلاح ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٨ .
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٩٧٢م) ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م .
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي(ت٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط(٢)، ١٩٦٤م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني، تحقيق : د . محمد رضوان الداية، و د. فائز الداية، ط (٢)، دمشق ، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود، أبو الفضل الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر، (د.ت) .
- فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية في علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، (د٠ط) و(د٠ت) .
- في ظلال القرآن، سيد قطب (ت١٩٦٦م)، دار الشروق، القاهرة ، ط (٣٧)، ٢٠٠٨م .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، جار الله محمود بن عمر، أبو القاسم الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي أحمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط(١)، ١٩٩٨م .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور، أبو الفضل المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط(١)، (د٠ت) .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د٠ فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط(١)، ١٩٩٨م.
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ،دار الفكر العربي، بيروت، د . ت
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، دار الجيل ، بيروت
- مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط(١)، ٢٠٠٠م .
- مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد، أبو القاسم الراغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، (د٠ط) و (د٠ت) .
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، د . ت .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط(٢).